٦- خروج النداء إلى معنى الاختصاص:

من أغراض النداء البلاغية التي تُفهم بالسياق وقرائن الأحوال، غرض الاختصاص، أو ما يُسمَّى (النصب على الاختصاص)، وكأنَّه مُنادى بحرف النداء(يا)، ويُقصدُ به تخصيص حكم عُلِّق بضمير لغير الغائب، بما تأخر عنه من اسم ظاهر معرفة معمول لـ(أخصّ) واجب الحذف، وهو أسلوبٌ خبريٌّ جاء غالباً على صورة أسلوب النداء مطلقاً، كما جاء الخبر على صورة الأمر وبالعكس، ففي قوله-تعالى-: ﴿ **قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ** ﴾ [هود:٧٣]، نصب(أَهْلَ) على المدح والاختصاص- المفهوم من السياق- أي: أخصُّ أهلَ بيت إبراهيم-عليه السلام-. وهذا على معنى الدُّعاء من الملائكة بالخير والبركة.

ومما يضارع هذا المثال ما جاء في قوله-تعالى-:﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ الإسراء:٢-٣]، فهنا جاء لفظ(ذُرِّيَّةَ) منصوباً على الاختصاص أيضاً؛ أي: يا ذريةَ من حملنا مع نوح كونوا كما كان نوحٌ في العبودية والانقياد، وفي كثرة الشكر لله-تعالى- بفعل الطاعات، ذكَّرهم-سُبْحانَهُ- إنعامَه عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق، مع التلطف بهم أيضاً.

٧- خروج النداء إلى معنى التأسُّف والتحسُّر:

يتجلَّى هذا الغرض البلاغي في نداء(الأسف)، والأسفُ في لُغة العرب: أشدُّ الحزن، يقال: أسيفٌ على ما فاته، وتأسَّفَ، أي: تلهَّف، وأسِفَ عليه: إذا غَضِبَ، وآسَفَهُ، أي: أغضبَهُ، والقولان متقاربان في ذلك؛ فالغضبُ من الحزنِ والحزنُ من الغضبِ، فإذا أتى الإنسان ما يكره ممن هو دونه غضب، وإذا جاءه ما يكره ممَّن هو فوقه حزن، فتسمى إحدى هاتين الحالتين حُزناً والأُخرى غَضَباً.

ويتجلَّى هذا الغرض البلاغي للنداء في قوله-تعالى- على لسان نبيّ اللهِ يعقوب-عليه السلام-: ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[يوسف:٨٤]، فبعد أن اشتدَّ بلاؤه-عليه السلام- وبلغ جهده وهاج غمه قال هذه المقالة بسبب فراقه ليوسف-عليه السلام- وانضمام فراقه لأخيه بنيامين، وبلوغ ما بلغه من كونه أسيراً عِنْدَ ملك مصر، فتضاعفت أحزانُهُ وهاج عليه الوجدُ القديمُ بما أثاره من الخبر الأخير... ومعنى المناداة للأسف طلب حضوره، كأنَّه قال: تعال يا أسفي وأَقْبِلْ عليَّ، وفيه شكوى إلى الله لا منه، وهنا مُفترق الطرق؛ إذ تبين معنى هذا النداء أنَّه يُرادُ به الشكوى بمعنى: أتحسر وأتلهف على فراق يوسف، وأشكو إلى الله

من ذلك، أي: يا حزنا ويا جزعا، ومما يدلّ على أنَّه دلَّ على هذه المَعَاني أنَّ الآيةَ الكريمةَ نزلت في عام الحُزنِ تسليةً للنبي-صلى الله عليه وسلم- لما لاقاه من أسى وحزنٍ وضيقٍ وكربٍ.

٨-خروج النداء إلى معنى التحسُّر والتلهُّف:

جاء هذان الغرضان البلاغيان في نداء(الحسرة) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وقبل الوقوف على معناها ومعنى ندائها لا بدَّ لنا من تبيين بعض مَعَانِيها اللغوية؛ ليتسنى لنا بعد ذلك الحكم على سبب ندائها، فالحسرة مأخوذةٌ في لغة العرب من مادة: (حَسَرَ)، بمعنى: الكَشف أو الانكشاف، و(الحسرة) أشدُّ التلهف على الشيءِ الفائتِ، تقول: حَسَرَ على الشيء حسرةً، أي: تلهَّف تلهُّفاً، وهذا المعنى ينطبق تماماً على ما سيأتي بيانُه من عِلَّة ندائها بحرف النداء مع أنَّها غير عاقل، وأوَّلُ ما يطالعنا في تطبيق ما مرَّ على أرض المَعَاني قوله-تعالى-: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾[الأنعام:٣١]، فالخسران هنا هو فوات الثواب العظيم في دار الكرامة والنعيم المقيم، وحصول العذاب الأليم في دركات الجحيم، لذلك منكرو البعث- وهم كفار قريش ومن لفَّ لفَّهم- عبَّروا عن كثرةِ ندمهم بنداء(الحسرة)، وليست بمُنادى في الحقيقة؛ ليدل ذلك على كثرة تحسُّرهم، والمعنى: يا حسرتنا احضري فهذا أوانك، كقولهم: يا للعجب ويا للرجال، وقيل: هو تنبيهٌ للنَّاس على عِظَمِ ما يحل بهم من الحسرة، كأنَّهم قالوا: يا أيها النَّاس تنبَّهوا على ما نزل بنا من الحسرة، و(الحسرة) النَّدمُ الشديدُ والتلهُّف والتحسُّر على الشيء الفائت، والمرادُ تنبيهُ المخاطبينَ على وقوعِ الحسرةِ بهم، وهذه الحسرة واقعةٌ عِنْدَما يرى أهلُ النارِ منازلَهُم من الجنَّةِ، فيكون الموقفُ أشدَّ والحسرة أبلغ، وكأنَّ الكافرَ-لفرط ما هو فيه- صارَ يتخيَّلُ أنَّ الحسرةَ تسمعُ فناداها، وهذا ينبئ عمَّا بداخله من أحزانٍ وآلامٍ وتَحَسُّرٍ وتندُّمٍ.

٩-خروج النداء إلى معنى التحسر والتفجع والندم:

من شواهد التحسر والتفجع ما جاء في نداء لفظ(الويل)، إذ وردت هذه الكلمة منادى بحرف النداء(يا) في كثيرٍ من آي القرآن الكريم، وهي كلمة مثل قولك: (ويحٌ)، إلَّا أنَّها كلمةُ عذابٍ، كقولهم: ويله وويلك وويلي، والويلُ اسمٌ لوادٍ في جهنَّم، لو أُرسلتْ فيه الجبالُ الرواسخُ لذابتْ من حرِّه، ومع ذلك فهي وقعت منادى لبعض القوم؛ لعلَّةٍ بلاغيةٍ وخاصَّةً عِنْدَ قوله-عَلَّتْ كلمتُه-

على لسان قابيل:- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[المائدة:٣١]، والقصة مشهورة في كتب التفسير، لكنَّ الذي حصل أنَّ النداء وقع على لفظ (الويل)؛ وهي كلمةُ تحسُّرٍ وتفجُّعٍ وتلهُّفٍ وجزعٍ، والألفُ بدلٌ من ياءِ المُتكلم، كأنَّه دعا ويلته أن تحضُرَ في ذلك الوقت وتلزمه... أي: يا هلاكي تعَال، والويلة الهلكة، وتُستعملُ عِندَ وقوعِ الدَّاهيةِ العظيمةِ، وفيه اعترافٌ على نفسِهِ باستحقاق العذاب، وأصلُ النداء أن يكون لمن يعقل وقد ينادى ما لا يعقل توسعاً، وهذا كلُّه حاصلٌ نتيجة لِما رآهُ قابيلُ من جثةِ أخيه هابيل، وما فعل الغرابُ بالغراب الآخر، فقد هزَّتْ تلك الجثةُ المستسلمةُ حناناً كان نائماً في صدرِ قابيلَ، واستصرختْ أخوةً حانيةً كانتْ نائيةً عنهُ، فأصبحَ من النَّادمين، وكأنَّه يصيحُ بأعلى صوته: يا حسرتاه!! يا ويلتاه!! ماذا أصنع بجثة هابيل؟ ولهذا فقد تعجَّبَ مُستفهماً بعد هذا النداء ليُصوِّرَ لنا شدةَ الحسرةِ والندامةِ المخيمةِ على قلبِهِ، وهذا هو الندم المصوغ بالتعجب على عدم الاهتداء إلى دفن جثة أخيه لا على قتله، فكيف بهذا الطير المزدري وهذا الغراب الحقير أن يهتدي إلى ذلك قبلي؟!.

ومن قطف هذا الثمر ما نجده في قوله-تعالى-:﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[الكهف:٤٩]، يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك، وهو مصدرٌ لا فعل له من لفظه، وناداوها على تشبيهها بشخص يطلب إقباله، كأنَّه قيل: يا هلاكنا أقبلْ فهذا أوانُك... وفيه تقريعٌ لهم وإشارة إلى أنَّهُ لا صاحب لهم غير الهلاك، وطلبوا هلاكَهم لئلا يروا ما هم فيه، فالسياق يشهد لعظم الموقف الذي زجهم للدعاء بهذه الصيغة، وكأنَّهم واقعون في الويل لا محالة، فقد انكشف الغطاء واستبان الأمر، وحقَّت كلمة العذاب فيهم، ممَّا دفعهم لأن يُنادوا هلكتهم التي هلكوها نادمين في نار جهنَّم خاصَّة من بين كلِّ الهلكات التي شاهدوها بِأُمِّ أعينهم، آملين في تغير حالهم وما هم فيه، وأنَّى لهم ذلك؟!

وقد ظهر غرض التحسر والندم في نداء الحرف(ليت) أيضاً، وذلك في نحو قوله-تعالى-: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الأنعام:٢٧]، فهنا يذكر-تعالى- حال الكفار إذا وُقِفُوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعِنْدَ ذلك جاء النداء منهم بقولهم: (**يَا لَيْتَنَا**) على وجه التحسر والندم على فوات الأمر، أي: لا نكذب بآياتِ رَبّنا الناطقة بأحوال النَّار وأهوالها الآمرة باتقائها، إذ هي التي تخطر حينئذٍ ببالهم، ويتحسرون ويندمون على ما فرَّطُوا في حَقِّها.

<u>الخامس- التمني:</u>

(وهو طَلَبُ أمْرٍ مَحْبُوبٍ لا يُرجَى حُصُوله؛ إمَّا لِكَونِهِ مُسْتَحِيلاً، وإمَّا لكونه بعيد التحقق والحصول، وأداته الأصلية: ليت).

فمثال كونه مستحيلاً قول الشاعر:

ألا ليتَ الشبّابَ يعودُ يوماً   فأخبره بما فعلَ المشيبُ

ومثال كونه بعيد التحقق والحصول قوله تعالى: ﴿يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾[القصص:٧٩].

فإن كان منتظرَ الحصول قريبَ الوجود كان ترجّياً ويُعَبَّرُ فيه بـ(**عسى ولَعَلَّ**)؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[الطلاق:١]، وقوله سبحانه: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾[المائدة:٥٢]، وقد تُستعلُ في الترجي (**ليت**) لغرضٍ بلاغيّ؛ هو إبراز المرجُوّ في صورة المستحيل مبالغةً في بُعْدِ نَيْلِهِ، كقول الشاعر:

فَيا لَيتَ ما بَيْني وبَينَ أحِبّتي   مِنَ البُعْدِ ما بَيني وبَينَ المَصائِبِ

وقد تُستعملُ أيضاً للتندم كقوله تعالى: ﴿يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٢٧]

وألفاظُ التمني أربعة: واحدة أصلية، وهي (**ليت**)، وثلاثة نائبة عنها، وهي(**هل، ولو، ولعلَّ**)، ولا يُتمنَّى بها إلّا في المقطوع بعدم وقوعه؛ لئلّا تُحمل على معانيها الأصلية، لذلك ينُصبُ المضارع الواقع في جوابها، وهي على النحو الآتي:

١-(**هل**): ويبرز بها الْمُتمنَّى في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والتشوق إليه، حتى لا يُستطاع الإتيان به إلّا في صورة الممكن المطموع في وقوعه، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[الأعراف:٥٣]، ودليل أنَّها للتمني أنَّهم يعلمون عدم الشفيع، لذا تولد من الاستفهام التمني المناسب للمقام.

٢-(**لو**): ويُتمنَّى بها إشعاراً بعزة الْمُتمنَّى وندرته؛ لأنَّ المتكلمَ يُبرزُهُ في صورةِ الممنوع، إذ أنَّ (**لو**) تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط، ومن شواهدها في التمني قوله تعالى:﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٠٢]، ودليل أنَّها للتمني نصب الجواب والكرَّة.